اتين دينيه
سليمان بن إبراهيم

محمد رسول الله

ترجمة

الإمام الأكبر
دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الإسلام رحمه الله

دكتور محمد عبد الحليم
السفير السابق
بوزارة الخارجية

تمهيد

حياة ناصر الدين دينية وآراؤه

(١)
ناصر الدين والإسلام
نظرته الفنية والدينية

ولد الفونس إيتين دينيه[١] في باريس سنة ١٨٦١ وعاش رحمه الله فنانا بطبعه: كان مرهف الحس رقيق الشعور جياش العاطفة.

(١) ألفت المودة بين الأستاذ الأديب راشد رسلم والمغفور له ناصر الدين، وقد كان الأستاذ راشد أول من عرف المصريين به، فقد ترجم رسالته:أشعة خاصة بنور الإسلام إلى اللغة العربية ونشرها في صورة حسنه، وحينما توفي ناصر الدين سنة ١٩٢٩ كتب الأستاذ راشد عنه مقالا في جريدة الأهرام وقد إستأذناه في الإنتفاع بالترجمة العربية لرسالة أشعة خاصة بنور الإسلام عند المناسبات التي تعرض خلال عملنا هذا وكذلك في نشر مقاله الذي كتب فيه بجريدة الأهرام فأذن بذلك راضياً مغتبطاً ولا يسعنا إلا أن نسجل له الشكر الجزيل راجين من الله أن يجزيه أحسن الجزاء وفيما يلي المقال المذكور: مات هذا المستشرق الذابه وقد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير العدد العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفي فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلي الشعوب الشرقية التي أحبها وخدمها وقد وجب علينا وإن كنا لم نقف هنالك في باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث إلى روحه تحيات السلام والاعتراف بالجميل.

أحب المسيودينيه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فاتخذ له بينهم مقاما محمودا في بلاد الجزائر في تلك الواحة الهادئة الجميلة بوسعادة ينتقل إليه ويسكنه نصف العام كاملا يرتاح للعرب وجيرتهم ويروح عن نفسه بينهم ويتعم بما في حياتهم من جلال تلك المناقب المأثورة عنهم وتلك المكارم المعروفة بهم والتي لا يميل إليها إلا عشاق الخيال السامي ولا ينشدها إلا أهل الفضائل العالية وقد وضع في حياة العرب كتابا جميلا جليلا ملأه باللوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة في تصويرها والبيان في صحتها.

والمسيو دينيه يبلغ من العمر سبعين عاما وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم وله في متحف (لوكسمبرج) وهو متحف كبار المصورين العصريين بباريس عدة صور منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف (سدني) باستراليا وغير ذلك كثير.

وجميع صوره تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصحراء كما تدل على دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة وهو ذو مركز خاص مشهود به بين إخوانه المصورين وإمتاز عنهم بتخصصه في تصوير الحياة الإسلامية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر .وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتي قيل عنه: إنه المصور الفريد بين إخوانه الذي يستطيع تمثيلها بالريشة والألوان والأصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه إنه المصور العربي.

وقد جاءت ترجمة المسيو دينيه وأعماله في معجم لاروس الكبير* وفي معلمة هاشيت للفنون الجميلة وله عدة مؤلفات منها: كتاب حياة العرب الذي ذكرناه، ومنها كتاب السراب وكتاب حياة الصحراء وكتاب ربيع القلوب وكتاب الشرق كما يراه الغرب وكلها تشير إلى ما في طبيعته من الخلق الطيب وما يحمله في قلبه من الحب والتقدير للشرق والشرقيين .

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو السيرة النبوية في مجلد =

وكان صاحب طبيعية متدينة أيضا: كان كثير التفكير جم التأمل يسرح بخياله فى ملكوت السموات والأرض يريد أن يخترق حجبه ويكشف عن مساتيره ويصل..... إلى الله.

كان فناناً يتملكه شعور دينى وكان دينيا يغمره ويسيطر عليه شعور فنى وأمتزج فيه

= كبير جليل وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية ومشاهد الدين ومعالمه وطبعه طبعا غاية فى الإتقان والعناية وحتى أنه ليعد تحفة من تحف الطباعة.

كل ذلك كان تقديرا منه لموضوعه ثم أنه قدمه لأرواح الجنود الإسلامية التى إستشهدت فى الحرب الكبرى وهى تحارب فى صفوف الفرنسيين ونشره كذلك باللغة الإنجليزية بنفس الحجم الكبير والإتقان التام والكتاب فى طبعته قد تحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الأشكال العربية غاية فى الدقة والإبداع وهى اللوحات التى قام بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد: محمد راسم الجزائرى أشهر رجال الزخرفة العربية والذى أشار إليه المسيو الآزار الأستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك فى المحاضرة التى ألقاها بالنادى الفرنسى بالقاهرة فى شهر مارس ١٩٢٩ ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية.

وما نظن أن العالم العربى قد قرأ للمسيو دينية شيئا بالعربية قبل تلك الرسالة التى عرضناها له: (أشعة خاصة بنور الإسلام) والتى نشرت بمصر هذا العام وهى التى جعلها بحثا عصريا فى مبادىء الدين الإسلامى وأراد إظهار هذه المبادىء واضحة جلية وأنها تفضل مبادىء المدنيات الحاضرة ولعل هذه الرسالة هى آخر ما كتب اللهم إلا إذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التى كان قد ذكر لنا أنه يشغل بتدوينها بهمة ونشاط وذلك عقب عودته من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج وإذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئاً فإنه ذكر لنا فى كتابه إليها أنه لاقى من التعب والمشاق الشىء الكثير رغم ما لاقاه من التكريم والعناية الخاصة ورغم نسيانه لمشقة فى سبيل الله وهو يدعو إلى إصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين يأتون رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.

والمسيو دينية كاتب رقيق العبارة واسع الإطلاع لذلك فهو صحيح الحجة ناهض البرهان ثم هو شديد الهجوم شديد الدفاع ذلك لأنه غيور على مبدئه الذى لم يتخذه إلا بعد بحث وتفكير وقد أعتنق إسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر فى اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب أن يدفن فى قبره مسلما حنيفيا وهو القبر الذى شيده لنفسه فى بلدة (بو سعادة) بالجزائر وقد ذكرت الأهرام فى تلغرافاتها الخصوصية أمس: أنه سينقل إليها من فرنسا وفق وصيته ويقول انه لم يسلم لمطمع أو مغنم (والرجل غنى موسر الحال) وإنما أسلم إرضاء لبقينه وضميره وانه ناقش الناصرين والطاعنين فخرج من دينيه إلى ناصر الدين.

وله فى بيان فضائل الشرقيين عامة والدفاع عنهم جولات قلمية ولوحات تصويرية تشهد له بإخلاصه فى حب الشرق وتقوم دليلا على حبه للعدل والإنصاف وقد استفتاه بعضهم على أمر الشرق والغرب فكتب يقول: إن الغرب يخطىء النظر إلى الشرق مع أن للشرق على الغرب أفضالا متأصلة فى مدنيته متغلغلة فى حياته ذلك من أثر الدينيات التى هو مدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التى منشؤها اليهودية الشرقية ومن أثر الحياة الشريفة والنهمة الفعساء التى منشؤها أنظمة الفروسية العربية ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التى إبتدعت أصولها العقول الشرقية.

ويقول إن الشرق لم يضمر للغرب الإساءة وأن الغرب يخطىء إذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دخائل الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له إلا السلامة.

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب وهو المثل الطيب لكل فرنسى يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجميل النبيل ومع أنه قد إعتنق الإسلام وعاش مسلما ومات مسلما فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون مقيما على العهد والإخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نعشه رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤبنونه أحسن التأبين ذلك لنبالة قصده ومتانة إنسانيته. (راجع رسلم: الأهرام فى ١٩/١٢/١٩٢٩).

الدين فكان مثالا واضحا للإنسان نفسه.

نشأ من أبوين مسيحيين وتمثل طبيعة الحال العقائد المسيحية نظرياً ومارسها عملياً وذهب مع أبواه ككل مسيحى إلى التعميد وإلى الكنيسة فشب وترعرع على عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران.

وعلى مر الزمان أخذت تستبين فيه طبيعته الفنية وأخذ يستولى عليه شعور بالقلق والحيرة من الناحية الدينية إن الفنان يتصور الخلود فى دقة لا تتأتى لغير ذوى الشعور الفنى ويتمنى الخلود ويريده ويعمل جاهداً لتكتب لوحاته فى سجل الخلود فتسمو على الزمن وترتفع عن حدود ما يفنى.

وأصحاب الطبائع الدينية يفكرون فى الخلود ويتمنونه ويريدونه ويعملون جاهدين لكشف المعمى فيما يتعلق بمصيرهم الأبدى.

وكان دينيه يفكر فى لوحته ويفكر فى مصيره ويعمل جاهدا ليبلغ الذروة فى الفن ويعمل جاهدا لإزالة الظلمة المتكاثفة فى دائرة اللانهاية.

وكانت هناك وسائل نصفر- للصقل لا للإيجاد- الطبيعة الفنية والاتجاه بها نحو الكمال وفى ذلك ما يطمئن نوعا ما وفى ذلك علاج بعض العلاج للقلق فيما يتعلق بالفن وقد جد دينيه فى استكمال وسائل الصقل النظرية منها والعملية واتخذ لذلك الأسباب وأحس من هذه الجهة ببعض الطمأنينة.

ولكن ما العلاج لطبيعته الدينية القلقة ؟ ليس لذلك من علاج سوى البحث والتأمل وإطالة التفكير فى الكون وفى النصوص المقدسة وفى العقائد التى يدين بها الوسط المباشر والبيئة المحيطة... وفكر دينيه فى المسيحية وفى الكنيسة وفى البابا المعصوم وفى عقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران.

المسيح ابن الله !!... وقد صلب ليطهر بنى البشر من اللعنة التى حلت بهم بسبب خطيئة أدم...!! إنه صلب ليفتدى الشر ثم هو ابن الله وهو الله... وهو بشر وهو إله..!! ويدور رأس دينية فلا يكاد يرى بارقة من أمل فى أن يهتدى إلى الحق فى كل ذلك... وهو فى ذلك من حق ؟! .. وهل فى الظلمة من نور..؟!

الأناجيل الحالية غير صحيحة:

ومع ذلك فلم ييأس بل أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولا جهده أن يراها تتسم بسمة الحق فيؤمن بابن الله وبالكاثوليكية. ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل فضلا عن الصورة التى تريد المسيحية أن توحى بها: فمن أقوال المسيح التى فيها حطة وإحتقار لأمه العذراء ما صدر منه فى عرس قانا: وفى اليوم الثالث كان عروس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعا أيضا يسوع تلاميذه إلى العرس ولما

... الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر ,قال يسوع: مالى ومالك يا إمرأة .(١)

... من أقواله التى تحمل فى طياتها اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها لأنه لم يكن ... تين ,فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها ... شيئا إلا ورقا لأنه لم يكن وقت التين فتعجب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ... إلى الأبد ,وكان تلاميذه يسمعون (٢)

... من أقواله الدالة على كره الغريب: .....، وإذا أمرأة كنعانية خارجة من تلك ... صرخت إليه قائلة: ارحمنى يا سيد يا ابن داوود إبنتى مجنونة جدا فلم يجبها ... فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: إصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال: لم ... إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة .(٣)

... من أقواله التى توجب كراهية الأقرباء: إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه ... وأولاده وأخوته وأخواته حتي نفسه أيضا فلا يقدر إن يكون لى تلميذا(٤)

... من أقواله التى فيها إعتراف بالجهل: .... وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها ... لا الملائكة الذين فى السماء ولا الأبن إلا الأب (٥)

هذه النصوص تبعث فى النفس الشك فى صحة الأناجيل التى بين أيدينا (٦)

صحة الأناجيل:

... ذلك إلى البحث فى صحة الأناجيل وفى قيمتها من الناحية التاريخية وكانت ... بحثه: إنه لا شك إن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه ولا شك ... هذا الإنجيل قد ضاع وأندثر ولم يبق له أثر أو أنه باد أو أنه قد أبيد .(٧)

... هذا قد جعلوا مكانه توليفات أربعا مشكوكا فى صحتها وفى نسبتها التاريخية كما ... مكتوبة باللغة اليونانية وهى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى ... لغة سامية لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح الثانى عشر هذا ما يقوله الإنجيل فيما يتعلق بصلة المسيح بأمه .أما القرآن فإنه يقول: ... إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٣٠) قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣١) وجعلني ... ما دمت حيا وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣٢) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٣) والسلام علي ... يوم أموت ويوم أبعث حيا

(١) إنجيل مرقص: الحادى عشر.

(١) إنجيل متى : الإصحاح الخامس عشر .

(١) الإنجيل لوقا: الإصحاح الرابع عشر.

(١) إنجيل مرقص: الإصحاح الثالث عشر.

(١) أ ... أشعة خاصة بنور الإسلام

(١) ... أشعة خاصة بنور الإسلام

بتوراة اليهود (١)

ورأى فى النهاية فى وضوح: إن الديانة الكاثوليكية لا تتحمل البحث والمناقشة ,فقد أظهرت الأدلة العديدة سواء أكانت أخلاقية أم تاريخية أم علمية أم لغوية أم بسيكولوجية أم دينية أن الكاثوليكية ملأى بالأغلاط الواضحة ، ولم يمكنه أن يقول ما قاله القديس أوغسطين مما يعتبر شعار كل مسيحى: إننى أؤمن بذلك: لأن ذلك غير معقول .(٢)

وثار شعوره الدينى على أوضاع مبهمة وألفاظ غامضة ومشاكل لا تحل وإنتهى به المطاف بعد بحث وجدل ومناظرات وتأملات إلى رفض المسيحية وبلغت حيرته حينئذ أشدها ولكن اليأس لم يتطرق إلى نفسه قط وإذا لم يجد الهداية فى المسيحية فليس معنى ذلك أنه لن يجدها مطلقا إن الحقيقة عزيزة المنال ولكنها موجودة والسبيل إليها: البحث.

الإلتجاء إلى العقل:

ورأى دينيه أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم ولكنه إنتهى إلى أن العقل عاجز فى ميدان ما وراء الطبيعة وفى الواقع: يسعي كثير من ذوى العقول المستنيرة بعد أن أفاقوا من غفلتهم وبعد أن رأوا إخفاق مذهب استقلال العقل بالمعرفة لتعرف طريق الهداية وأن مذهب الحدس الذى يتهافتون عليه خلف حامل لوائه المسيو برجستون الشهير هو عبارة عن رد فعل واضح لمذهب استقلال العقل بالمعرفة أو هو- وهو الأصح- رد فعل لعجز هذا المذهب.

فقد جدد هذا المفكر فى قلوب الناس النهمين إلى الإيمان آمالا كان يظهر أنها ضاعت ضياعا نهائيا فهو يأذن لهم بأن يأملوا فى خلود الروح ويقول لهم: إن الدنيا ليست مشتبكا عظيما لقوى عمياء وأن العقل ليس هو الطريقة الوحيدة للمعرفة (٣)

أخفقت المسيحية فى إرضاء ضميره الدينى وأخفق العقل فى قيادته إلى الذور إلام يتجه إذن؟

المسيحيون الذين أسلموا:

وتلفت حوله ونظر: ماذا فعل أمثاله ممن شكوا فى المسيحية وشكوا فى العقل ؟ ...

فرأى: أن نفرا من النصاري فى مختلف الأقطار الأوربية دانوا بالإسلام فى الأعوام

---

(١) عن أشعة خاصة بنور الإسلام....

(٢) لا شك أن دينيه إطلع على مؤلفات رينان الذى كتب عن المسيح عليه السلام كذباً يثبت فيه: أن المسيح لم يكن إلها ولا ابن إله وإنما هو إنسان يمتاز بالخلق السامي والروح الكريمة . ورينان لم يكن متطرفا فى حكمه فقد أثبت على كل حال وجود المسيح وجوداً تاريخياً حقيقيا. ولكن آخرين أخذوا ينقبون فى بطون الكتب ويتتبعون الروايات فانتهوا إلى عدم الإطمئنان لوجود المسيح تاريخيا ومن هؤلاء بابيه أستاذ علم الاجتماع بجامعة السوربون الذى أشترك مع زميلين له فى تأليف كتاب يهدف إلى إثبات أن المسيح أسطورة وإن إنتشار المسيحية لم يكن إلا لأسباب سياسية بحتة أما الأستاذ جيليبير أستاذ تاريخ الأديان بالسوربون إلى عهد قريب فقد أثبت فى عدة مؤلفات ذات شهرة عالمية أثبت بما لا يدع مجلا للشك إن المسيحية الحالية ليست هى مسيحية المسيح بل لا تمت إلى مسيحية المسيح بصلة اللهم إلا الصلة الاسمية.

(٣) ناصر الدين: محمد

الأخيرة.. ويكثر عددهم على مر الأيام. وفى لندن وليفربول جماعات إسلامية ذات شان حقيقى. منهم فريق من أعيان الإنجليز(١)

ورأى إن الذين يعتنقون الإسلام فى وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم ،إنما هم من الخاصة سواء كان فى الهيئات الاجتماعية الأوروبية أو الأمريكية كما أن إخلاصهم فى ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الأغراض المادية(٢)

وتبين له أنه يوجد فى جميع أنحاء أوروبا وأمريكا من إعتنقوا الإسلام وإذا كان هذا الأمر لا يزال قليل الأهمية إذا نظرنا إلى قلة عدد المعتنقين وإن كان عددهم لا بأس به فإنه ذو أهمية كبرى نظراً لمركز هؤلاء المعتنقين الذين ينتمون إلى الطبقات الراقية المتعلمة وتذكر منهم على سبيل المثال اللورد هيدلى الإنجليزى وصديقنا المأسوف عليه المرحوم كريستوفر شرفيس أحد تلاميذ أغست كومت وأديبا من أدباء فرنسا المعدودين وفيلسوفا من فلاسفتها المشهورين(٣)

ومما لا ريب فيه أن هناك مفكرين منصفين لا غربيين فحسب بل عالميين أيضاً درسوا الإسلام دراسة عميقة فأحبه البعض وناصره وآمن به البعض الآخر وأعلن إسلامه وصدق فيه ويقول احدهم(٤) :

إننى أعتقد أن هناك ألافاً من الرجال والنساء أيضاً مسلمون قلبا ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الإبتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم .

ونحب أن نعرض فيما يلى لأمثلة من هؤلاء المفكرين المنصفين الذين لا شك أنهم قد قرأ لهم دينيه وتتبع آراءهم.

الكونت هنرى دى كاسترى:

وقصة تفكيره فى دراسته للإسلام قصة طريفة:

كان من كبار الموظفين بالجزائر رغم سنه المبكرة وكان يسير ممتطيا صهوة جواده ويسير خلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء فخور بمركزه وكان يملؤه الغرور للمدح الذى يزجيه إليه الذين تحت أمرته.

وفجأة وجدهم يقولون له فى شىء من الخشونة وفى كثير من الاعتداد بالنفس:

«لقد حان موعد صلاة العصر».

ودون أن يستأذنوه فى الوقوف ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الإسلام الخالدة: الله اكبر...

(١) ناصر الدين: الشرق فى نظر الغرب.

(٢) أشعة خاصة بلواء الإسلام.

(٣) الحج إلى بيت الله الحرام لناصر الدين ترجمة م. توفيق أحمد.

(٤) (اللورد هيدلى):

شعر الكونت فى هذه اللحظة بشىء من المهانة فى نفسه وبكثير من الإكبار والإعجاب بهؤلاء الذين لا يبالون به، ذلك لأنهم اتجهوا إلى الله وحده بكل كيانهم، وبدأ يتساءل:

ما الإسلام ؟ أهو ذلك الدين الذى تصوره الكنيسة فى صورة بشعة تنفر منها النفس ولا يطمئن لها الوجدان.. ؟

وبدا يدرس الإسلام وتغيرت فكرته عنه .ورأى من اجبه أن يعلن ما اهتدى إليه فكان كتاب: الإسلام: خواطر وسوانح (١)

وفى هذا الكتاب الطريف تحدث عن كثير من جوانب الإسلام سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالرسول أم فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية .وقد تحدث فضلا عن ذلك عن آراء مواطنيه وخصوصا القدماء منهم فى صورة من السخرية، والتهكم:

وذهبوا إلى أن محمدا وضع دينه بإدعائه الألوهية.

ومن المستغرب قولهم: إن محمدا الذى هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان كان يدعو الناس لعبادته فى صورة وثن من ذهب.

بل لقد أغرق خيالهم فى الضلال، فذهبوا إلى أبعد من ذلك.

وذهبوا إلى إن صورة «ماهوم»(٢) كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن باحكم صنع وأدق إتقان .

وبعد أن ذكر الكثير من أرائهم قال:

ولقد أطلنا القول فى تلك الأضاليل، لأن تاريخ إسكندر(٣)

ولكن ما سر هذه الحملة الشعواء الضالة التى تهزءا بالحق والضمير، التى لا يقرها دين أيا كان ؟

ولو سال سائل: هل كان أولئك المفسرون يعتقدون صحة ما يقولون؟ لأجبناه: لا، ونعم إذ من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين معرفة الدين المحمدى على حقيقته ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية فى أناشيدهم: بل حفظ روح البغضاء فى نفوس قومهم .

هل هذه الروح التى كانت سائدة عند المسيحيين تجاه الإسلام اقتصرت على العصور الوسطى؟ كلا...

---

(١) ونحن نعتمد على هذا الكتاب على الخصوص فى هذا المقال.

(٢) (المقصود محمد صلى الله عليه وسلم.)

(٣) (إلف القسيس: «اسكندر دوبون» كتابا عام ١٢٥٨ م عن محمد، وكان الناس يعدونه تاريخا صحيحاً للرسول مع انه ليس كذلك) المذكور لم يزلها ولأنها تركت أثراً فى الأذهان وصل إلى أهل هذه الأيام وتشبعت به أفكارهم فى الدين وكتابه .

فلم يزل هذا الروح سائدا عند المسيحيين حتي أن المستشرق بريدو الإنجليزى ألف سنة ١٧٣٣ م كتابا فى سيرة النبى عنوانه: حياة ذى البدع محمد وترجمه بعضهم إلى لغتنا وجعل له مقدمة بين فيها مقصد المؤلف فقال.... إن غرضا واضع هذا الكتاب هو خدمة المقصد المسيحى الحكيم

ثم يعقب الكونت على ذلك بهذه الكلمات الحكيمة:

أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحى الحكيم كما يقولون وكان سلاحهم الوحيد فى تأييد سواقط حججهم أن يشبعوا خصمهم سباً وشتماً وأن يحرفوا فى النقل ما أستطاعوا .

ثم يأخذ الكونت فى الرد على الإفتراءات ومن أولى هذه الإفتراءات: أن الرسول صلوات الله عليه كان يقرأ ويكتب فقرأ التوراة وقرأ الإنجيل وأخذ تعاليمه منهما.

وقد رد الإسلام على هذه الفرية فقال: (وما كانت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك. إذا لارتاب المبطلون ...)

ويقول الكونت فى هذا المعنى:

ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً- نبياً أمياً- وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه ولا شك أنه يستحيل على رجل فى الشرق أن يتلقي العلم بحيث لا يعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان على أن القراءة والكتابة كانت معدومة فى ذلك الحين من تلك الأقطار ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره جارسين دى تاسى فى كتابه الذى طبعه سنة ١٨٧٤ م، كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يستدل على معرفة النبى للقراءة والكتابة باختيار السيدة خديجة رضى الله عنها إياه لمتاجرها فى الشام، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها أن كان جاهلا غير متعلم فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرأون ولا يكتبون وهم فى الغالب أكثرهم أمانة وصدقاً.

أما فكرة التوحيد: فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من مطالعته التوراة والإنجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقه فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على صدقه فى رسالته وأمانته فى نبوته .

أما صدق الرسول وسمو رسالته فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما ورغم الوضوح الواضح فى صدق الرسول وفى سمو الرسالة الإسلامية فإن رجال الدين من المسيحيين ورجال الاستعمار لا يزالون يبدأون ويعيدون فى ترداد التشكيك إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت:

والعقل يحار كيف يتأتي أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى وقد إعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظا ومعنى، آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار فى جمالها وكفى رفيع عباراتها لإقناع عمر بن الخطاب فأمن برب

قائلها وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب سورة مريم وما جاء بها فى ولادة يحيى

فلما كان اليوم الثانى طلب النجاشى جعفر وأشار إليه بتلاوة ما فى القرآن عن المسيح ففعل واستغرب الملك لما سمع أن المسيح عبد لله ورسوله وروح منه ونزل فى أمه مريم وأعجب أشد العجاب بهذه المعانى وحمى المسلمين ولم يسلمهم إلى رسل قريش ولم ينفهم من بلاده .

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن هذه الفترات التى يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقاً فى الملأ الأعلى إنما هى فترات مرضية أو هى الصرع ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستندا إلى الإختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة .

وإليهم يقول الكونت:

ومن ذلك الحين- أى البعثة- أخذت شفتاه تنطلق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض والأفكار تتدفق من فمه على الدوام إلى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت ولا يجد من الألفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان وكانت تلك الإنفعالات تظهر على وجهة بادية فظن بعضهم أن به جنة وهو رأى باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى إعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية ليس من الناس من عرف الناس جميعاً أحواله فى حياته كلها مثل النبى صلى الله عليه وسلم فلقد وصل المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض من لحيته ولو أنه كان مريضاً لما أخفى مرضه لأن المرض فى مثل تلك الأحوال يعتبر أمرا سماوياً عند الشرقيين.

وليست حالة محمد صلى الله عليه وسلم فى إنفعالاته وتأثيراته بحالة ذى جنة ,بل كانت مثل التى قال نبى بنى إسرئيل فى وصفها: لقد شعرت بأن قلبى إنكسر بين أضلعى وإرتعشت منى العظام فصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة .

نختم الحديث عن أراء الكونت بهذا الوصف الرائع لتلك الساعة الأليمة، التى فارق بها الرسول عالمنا الدنيوى ليلحق برفيقه الأعلى ولينعم برضوان الله إذ يقول:

ولما أحس بقرب الأجل ذكر الفقراء فإنه لم يرغب طول حياته فى المال بل كان كلما جمع إليه منه شيئاً أنفقه فى الصدقات وكان قد أعطى عائشة يسيرا لتحفظه فلما حضره المرض أمر بإنفاقه على المعوذين لساعته وغاب فى سنة ولما أفاق سألها إن كانت نفذت أمره فأجابته: كلا فأمر بالنقود وأشار إلى العائلات المعوذات فوزع عليهم، وقال:

الآن إستراح قلبى، فإننى كنت أخشى أن ألاقى ربى وأنا أملك هذا المال...

وكان فى مرضه يخرج كل يوم ليصلى الظهر بالناس وآخر يوم خرج فيه هو الثامن من شهر يونيه سنة ٦٣٢ م وكانت مشيته مضطربة فتوكأ على الفضل بن العباس وعلى بن أبى طالب .وقصد منبر الخطبة الذى كان يعظ الناس عليه قبل الصلاة وحمد الله وائنى عليه ثم خطب فى المسلمين بصوت رفيع سمعه من خارج المسجد فقال ما معناه:

أيها الذين تسمعون قولى إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه وأن كنت أسأت سمعة أحد فليتقدم من سمعتى وإن كنت سلبت أحدا ماله فإليه مالى يقتص منه وهو فى حل من غضبى فإن الغل بعيد عن قلبى !

ثم نزل من على المنبر وصلى بالجماعة ولما أراد الإنصراف أمسك به رجل من أزاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينا عليه. فأداها على الفور قائلا:

لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة.

ثم دعا لمن حارب معه فى أحد وسأل الله لهم الرحمة والغفران.

وكان مشهد النبى بين المؤمنين فى ذلك اليوم مشهد جلال ووقار ، والناس يلمحون على وجهه تأثير السم الذى شربه من يد يهودية خيبر وقلوبهم متفطرة من الوجد عليه . ذلك أنه لما كان فى واقعة خيبر قدمت إليه يهودية إسمها زينب شاة مشوية أضافت إليها سما فإخذ منها النبى صلى الله عليه وسلم قطعة واحدة بين شفتيه وأحس بأنها مسمومة فألقاها. ثم حضرته الوفاة بعد حين كان يقول: ما زالت تعاودنى أكلة خيبر .

وكان أبو بكر نفسه يبكى ويقول للرسول: هلا إفتدينا روحك بأرواحنا ؟

ثم أوصله الصحابة إلى بيت عائشة وإضطجع تعبا مهزولا وصار المرض يشتد عليه فتخلف عن الصلاة بالمسلمين ، وقيل له : لقد جاء وقت الظهر فأشار إلى أبو بكر ليصلى بالناس . فكان من وراء هذه الإشارة خلافة أبى بكر بعد النبى.

وأخبرت عائشة رضى الله عنها عن حالة الإحتضار فقالت: كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسندا إلى صدرى وبقربه قدر ماء وكان يقوم ليضع فيها يده ويمسح جبينه، ويقول: رب أعنى على نحمل سكرات الموت، أدن منى يا جبريل، رب أغفر لى وألحقنى بين أصدقائى فى السماء . ثم نقلت رأسه ومال ثانية إلى صدرى.

كارلايل :

وكارلايل أحد كبار كتاب الإنجليز شاعرى النزعة والفطرة متحرر من الرياء والخبث يتتبع البطولة فيكتب عنها ويمتدحها ويحبب الناس فى السمو بأنفسهم إلى منازل الإبطال

أو على الأقل إلى التشبه بهم وقد أثار كتابه «الإبطال» أعجابا فى مصر والفكر العالمى وترجم إلى كل اللغات الحية وحينما ترجمه المرحوم محمد السباعى إلى اللغة العربية أثار الكثير من الإعجاب وقد كان لأسلوب الأستاذ السباعى البارع أثر فى نشر الكتاب ومن لم يقرأه لمعانيه قرأه لأسلوبه وفى هذا الكتاب فصل مستفيض عن حياة الرسول صلوات الله عليه، نقتطف منه ما يلى:

من العار أن يصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الاسلام كذب وان محمدا لم يكن على حق.

لقد آن لنا أن نحارب هذه الإدعاءات السخيفة المخجلة فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى. ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثير من الناس فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين، ومائات الملايين كاذبة أو خديعة مخادع ؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا وكان الأجدر بها إلا توجد.

هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟ إن الرجل الكاذب لا يستطيع إن يبنى بيتا من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء. وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه الا كومة من أخلاط هذه المواد فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟!

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا. متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.... وما الرسالة التى أداها إلا الصدق والحق.

وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول... وما هو إلا شهاب أضاء العالم اجمع ذلك أمر الله... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أحب محمدا لبراء طبعه من الرياء والتصنع ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأى لا يعتمد إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه ولم يكن متكبرا ولا ذليلا بل هو قائم فى ثوبه المرقع كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة والحياة الآخرة.

وما كان محمد بعاشق أحد قط ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق فما كان من عادته قط.

ويزعم المتعصبون أن محمد لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والحياة والسلطان.. كلا واسم الله لقد إنطلقت من فؤاد ذلك الرجل الكبير الشمس المملوء رحمة وبرا وحنانا وخيرا ونورا وحكمة، أفكار غير الطمع الدنيوى، وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان .

ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب لدنيا هو الذى أقام محمد وأثاره حمق وسخافة وهوس وأن رأينا رأيهم. أية فائدة لرجل على هذه الصورة فى جميع بلاد العرب، وفى تاج قيصر وصولجان كسرى جميع ما بالأرض من نيجان...!

لم يكن كغيره ، يرضى بالأوضاع الكاذبة، ويسير تبعا للإعتبارات الباطلة ، ولم يقبل أن يتشدق بالأكاذيب والأباطيل.

لقد كان منفردا بنفسه العظيمة ، وبحقائق الكون والكائنات لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه.

لقد جاء صوت هذا الرجل منبعثا من قلب الطبيعة ذاتها ... لهذا وجدنا الآذان إليه صاغية والقلوب لما يقوله واعية.

لقد كان زاهدا متقدما في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر إموره وأحواله فكان طعامه عادة الخبز والماء وكثيرا ما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار.

فهل من ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل متقشف خشن الملبس والمأكل مجتهد في الله دائب في نشر دين الله غير طامع إلى ما يطمح إليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان.

ولو كان غير ذلك لما إستطاع أن يلاقي من العرب الغلاظ إحتراما وإجلالا وإكبارا ولما إستطاع أن يقودهم ويعاشرهم معظم وقته ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون حوله يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه ... لقد كان في قلوب العرب جفاء وغلظة وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم . لهذا كان من يقدر على ترويضهم وتذليلهم بطلا وايم الله.

ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته ولما إنقادوا لمشيئته.

وفي ظني إنه لو وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم بدل هذا النبي لما إستطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته كما إستطاع هذا النبي في ثوبه المرقع ...!

هكذا تكون العظمة ... !

وهكذا تكون البطولة ... !

وهكذا تكون العبقرية ...!

تولستوى :

ولعلنا لسنا بحاجة إلى الحديث عن تولستوى أديب وكاتب روسيا الأعظم .لقد كان من هؤلاء الذين سمت نفوسهم إلى درجة لا نكاد نجد لها مثيلا في التاريخ إلا نادرا. كانت سعادة الإنسانية همه الملازم في كل أوانه . كان باستمرار يفكر في تخفيف ويلات بني الإنسانية في معالجة مرضاهم، في تسلية بائسهم، في إطعام جائعهم، في التخفيف عن منكوبهم ... وككل العباقرة الذين تسمو بهم عبقريتهم عن المستوى العادي صادف في حياته العقبات والآلام وبغض الحاقدين وكراهية الذين لا يحبون الحق.

ومن مآثره الكريمة : أنه حينما رأى الحملة الظالمة على الإسلام وعلى رسول الإسلام كتب رأيه في هذا الدين الذي أعجب به وتحدث عن رسوله الذي نال إكباره وكان جزاؤه على ذلك أي على كلمة الحق التي يدين بها : أن حرمه البابا من رحمة الله فكان كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطب الأديب الكبير : فليس ما حصل لك من رؤساء

الدين سوى إعتراف منهم أعلنوه للناس : إنك لست من القوم الضالين .

ونحن ننشر هنا كلمة صغيرة جدا من رأيه ثم ننشر خطاب الشيخ محمد عبده الذي وجهه اليه :

يقول تولستوى :

لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا : انه هدى امة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ...

ويكفيه فخرا : انه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به الاشخص اوتي قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال ...

اما خطاب الشيخ محمد عبده فهو التالي[1]

« ايها الحكيم الجليل المسيو تولستوى ،.

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك . سطع علينا نور من افكارك ، واشرقت في افاقنا شموس من ارائك الفت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ، ووفقك إلى الغاية التي هدى البشر اليها، فادركت ان الانسان جاء هذا الوجود ليثبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ولان تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس ، لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم التي لم يمنحوها الا ليسعدوا بها ،فيما كدر راحتهم ، وزعزع طمأنينتهم ...

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله اليه، وتقدمت امامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم. وكما كانت اراؤك ضياء يهتدى به الضالون كان مثالك في العمل إماماً يقتدى به المسترشدون.

وكما كان وجودك توبيخا من الله للاغنياء ، كان منا من عنايته للضعفاء والفقراء . وان ارفع مجد بلغته ، واكبر جزاء نلته على متاعبك في النصح والارشاد، هو هذا الذي سماه الغافلون بالحرمان والابعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم اعلنوه للناس انك لست من القوم الضالين . فاحمد الله على ان فارقوك في اقوالهم ... كما كنت فارقتهم في عقائدهم.

هذا وان نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من اثار قلبك . فيما تستقبل من ايام عمرك .

وانا نسأل الله ان يمد في حياتك ، ويحفظ عليك قوك . ويفتح ابواب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس إلى التاسي بك في عملك . والسلام ...

---

(١) وقد نشره الشيخ رشيد رضا في كتابه عن الشيخ محمد عبده .

اللورد هيدلى :

كان لإسلام اللورد هيدلى ضجة كبيرة، لمركزه ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير وترو فى الامور .

كيف اسلم اللورد هيدلى ؟

ما هى العوامل التى دعته إلى اعتناق الاسلام ؟!

اننا فى الصفحات التالية سنذكر جملة من النصوص ترشد القارىء إلى سبب رفضه المسيحية والى سبب اسلامه. والى تصويره لكثير من وجهات النظر الاسلامية.

وهو يقول :

عندما كنت اقضى – انا نفسى – الزمن الطويل من حياتى الاولى فى جو المسيحية كنت اشعر دائما ان الدين الاسلامى به الحسن والسهولة ، وانه خلو من عقائد الرومان والبروتستانت ..!

وثبتنى فى هذا الاعتقاد زيارتى للشرق التى اعقبت ذلك ودراستى القران المجيد ...

له الله ... لكم تالم وقاسى فى سبيل الوصول إلى الحق .. استمع اليه يقول : فكرت وصليت اربعين سنة ، كى اصل إلى حل صحيح .

ويجب على ان اعترف ايضا ان زيارتى للشرق ملأتنى احتراما للدين المحمدى السلس الذى يجعل الانسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لا فى ايام الاحاد فقط .

ويرى ان الاسلام هو الدين العالمى حقا :

ايمكن اذن ان يوجد دين يمكن العالم الانسانى من ان يجمع امره على عبادة الله الواحد الحقيقى الذى هو فوق الجميع وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو؟...

« فكر لحظة – وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة – انه لو اصبح كل فرد فى الامبراطورية الانجليزية محمديا حقيقيا بقلبه وروحه لاصبحت ادارة الاحكام اسهل من ذلك لان الناس سيعلمون بدين حقيقى »

وها هو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله :

روح الشكر هى خلاصة الدين الاسلامى ، والابتهال اصل فى طلب القيادة والارشاد من الله .

انه وان كان شكرى لله على كرمه وعنايته كان متأصلا فى من صغرى وايام حداثتى ، الا اننى لا استطيع ان اشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التى قرع فيها الدين الاسلامى لبى حقا وتملك رشدى واقنعنى نقائه ، واصبح حقيقة راسخة فى عقلى وفؤادى الا التقيت بسعادة وطمانينة ما رأيتهما قط من قبل ، كما أستنشق هواء البحر الخالص النقى ... ويتحققى من سلاسة وضياء وعظمة الاسلام ومجده اصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الارض تضيئه شمس النهار .

ومما يذكر من تعاليم الاسلام مشيدا به :

ليس هناك فى الإسلام الا إله واحد نعبده ونتبعه ، انه امام الجميع وفوق الجميع، وليس هناك قدوس اخر نشركه معه ، انه لمن المدهش حقا ان تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والالباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية ان تحجب عنم نظرهم رؤية السماء ، رؤية أبيهم القهار المتصل دوما بكل مخلوقاته ، سواء كانوا عاديين ام اولياء مقدسين.

مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه ، ويمكن ادارته لأذل واقل المخلوقات دون اية مساعدة من نبى او كاهن او ملك . انه كالهواء الذى نستنشقه مجانا لكل خلق الله.

أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك فما دعاهم إلى هذا العمل الا حب الفائدة.

ليس غرضى الرئيسى ان اهاجم اى فرع معين من فروع الديانة ، لابين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية ، التى هى خالية فى نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة جليا فى كثير من الديانات الاخرى ....

ولقد افترى كثيرا على الاسلام وها هو ذا يرد على افتراءاتهم .

ليس فى وسع الانسان ، فى الحقيقة ، الا ان يعتقد ان مدبجى وناسخى هذه الافتراءات ، لم يتعلموا ، حتى ولا أول مبادىء دينهم . والا لما استطاعوا ان ينشروا فى جميع انحاء العالم ، تقارير معروفا لديهم انها محض كذب واختلاق.

إن تعاليم القرآن الكريم قد نفذت وموورست فى خلال حياة محمد الذى –سواء فى ايام تحمله الالم والاضطهاد او فى زمن انتصاره ونجاحه– اظهر اشرف الصفات الخلقية التى لا يتسنى لمخلوق اخر اظهارها.

فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى اثناء الثلاث عشرة سنة التى تألمها فى مجاهداته الأولى بمكة. ولم يشعر فى كل زمن هذا الجهاد باى تزعزع فى الثقة بالله ، وانم كل واجباته بشمم وحمية.

كان ، صلى الله عليه وسلم ، مثابرا ولا يخشى أعداءه لانه كان يعلم أنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله . ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه.

وقد اثارت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول – تلك الشجاعة التى كانت حقا احدى مميزاته واوصافه العظيمة – اعجاب واحترام الكافرين واولئك الذين كانوا يشتهون قتله ... ومع ذلك فقد انتهت مشاعرنا ، وازداد اعجابنا به بعد ذلك فى حياته الاخيرة ، ايام انتصاره بالمدينة ، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام ، واستطاعته الاخذ بالثار ولم يفعل ، بل عفا عن كل اعدائه .

العفو والاحسان والشجاعة ، ومثل هاتيك الصفات ، كانت ترى منه فى كل تلك المدة ، حتى ان عددا من عظيما من الكافرين اهتدوا إلى الاسلام عند رؤية ذلك.

عفا بدون قيد ولا شرط عن كل هؤلاء الذين اضطهدوه وعذبوه ، آوى اليه كل الذين كانوا قد نفوه من مكة ، واغنى فقراءهم وعفا عن ألد أعدائه ، عندما كانت حياتهم فى قبضة يده تحت رحمته ...!

تلك الأخلاق الربانية التى اظهرها النبى الكريم ، اقنعت العرب بان حائزها يجب أن لا يكون إلا من عند الله ، وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا . وكراهيتهم المتأصلة فى نفوسهم ، حولتها تلك الاخلاق الشريفة إلى محبة وصداقة متينة.

محمد المثل الكامل ...

نحن نعتبر ان نبى بلاد العرب الكريم ، ذو اخلاق متينة ، وشخصية حقيقية ، وزنت واختبرت فى كل خطوة من خطا حياته ، ولم ير فيها اقل نقص قط.

وبما اننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة.

حياة محمد كمرآة امامنا تعكس علينا التعقل الراقى والسخاء والكرم ، والشجاعة والاقدام ، والصبر والحلم ، والوداعة والعفو ، وباقى الاخلاق الجوهرية ، التى تكون الانسانية.

ونرى ذلك فيها بالوان وضاءة .. خذ اى وجه من وجوه الآداب وانت تتأكد بانك تجده موضحا فى احدى حوادث حياته.

ومحمد وصل اعظم قوة واتى اليه مقاوموه وجدوا منه شفقة لا تجارى ، وكان ذلك سببا فى هدايتهم ...!

رحم الله اللورد هيدلى وجزاه عن الاسلام خير الجزاء .

الشيخ عبد الواحد يحيى

ولعل رينيه قد اتصل فى اواخر حياته بمفكر اخر من اعلام المفكرين ، هو العالم الفيلسوف الحكيم ، الصوفى رينيه جينو الذى يدوى اسمه فى اوربا قاطبة وفى امريكا والذى يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية . وقد كان اسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الطاهرة فاقتدوا به، واعتنقوا الاسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة ، تعبد الله على يقين فى معاقل الكاثوليكية فى الغرب.

وكان سبب إسلامه بسيطا منطقيا فى آن واحد:

لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد- بعد دراسة عميقة سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذى لم يناله التحريف ولا التبديل، لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون».

لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحا، فاعتصم به، وسار تحت لوائه فغمره الأمن النفسانى فى رحاب الفرقان.

ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتاب «أزمة العالم الحديث» بين فيه الانحراف الذى تسير فيه أوروبا الآن، والضلال المبين الذى أعمى الغرب عن سواء السبيل.

أما كتابه: «الشرق والغرب» فهو من الكتب الخالدة، التى تجعل كل شرقى يفخر بشرقيته، وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره، مبينا أصالته فى الحضارة، وسموه فى التفكير، وإنسانيته التى لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء، وعدوانه الذى لا يقف عند حد، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، ومظهرا فى كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم، وفهمهم للأمور فهما يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادئ الإنسانية..

وقد كتبنا عنه تقريرا لإحدى جامعاتنا المصرية للتعريف به ننشره فيما يلى: **رينيه جينو**: من الشخصيات التى أخذت مكانها فى التاريخ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالى وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلوطين،، صاحب الأفلاطونية الحديثة، وأمثاله.

وإذا كان الشخص، فى بيئتنا الحالية، لا يقدر التقدير الذى يستحقه إلا بعد وفاته، فقد كان من حسن حظ «رينيه جينو» أنه قدر أثناء حياته، وقدر بعد وفاته، أما فى أثناء حياته، فكان أول تقدير له: أن حرمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم، وقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت تجاههم نفس المسالك، ولكنها رأت فى رينيه جينو خطرا يكبر كل خطر سابق، فحرمت حتى الحديث عنه.

وإذا كان هذا تقديرا سلبيا له قيمته، فهناك التقدير الإيجابى، الذى لا يقل فى أهميته عن التقدير السلبى، فهناك هؤلاء الذين استجابوا لدعوة رينيه جينو فألفوا جمعيات فى جميع العواصم الكبرى فى العالم، وعلى الخصوص فى سويسرا وفى فرنسا، والمكونون لهذه الجمعيات احتذوا حذو رينيه جينو، فاتخذوا الإسلام دينا، والطهارة والإخلاص وطاعة الله، شعارا وديدنا، ويكونون وسط هذه المادية السابغة، وهذه الشهوات المتغلبة، واحات جميلة يلجأ إليها كل من أراد الطهر والطمأنينة.

ومن التقدير الإيجابى أيضا، أن كتبه، رغم تحريم الكنيسة لقراءتها، قد انتشرت فى جميع أرجاء العالم، وطبعت المرة بعد الأخرى، وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة، ما عدا العربية، للأسف الشديد.

ومن الطريف أن بعض الكتب ترجم إلى لغة الهند الصينية، ووضعت كشرح للوصية الأخيرة من وصايا «الدالاى لاما» ولم يكن يوجد فى الغرب شخص متخصص فى تاريخ الأديان إلا وهو على علم بآراء رينيه جينو.

كل هذا التقدير كان فى حياته.

أما بعد مماته، فقد زاد هذا التقدير: لقد كتبت عنه جميع صحف العالم ومنها بعض الصحف المصرية العربية.

وقد خصصت مجلة «فرنسا- آسيا» وهى مجلة محترمة، عددا ضخما، كتب فيه